لَا يَجُوزُ الِاسْتِدْلَالُ فِي الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ بِقِيَاسِ تَمْثِيلٍ وَلَا بِقِيَاسٍ شُمُولِيٍّ

"وَمِمَّا يُوَضِّحُ هَذَا: أَنَّ الْعِلْمَ الْإِلَهِيَّ لَا يَجُوزُ أَنْ يُسْتَدَلَّ فِيهِ بِقِيَاسٍ تَمْثِيلِيٍّ يَسْتَوِي فِيهِ الْأَصْلُ وَالْفَرْعُ، وَلَا بِقِيَاسٍ شُمُولِيٍّ يَسْتَوِي أَفْرَادُهُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُمَثَّلَ بِغَيْرِهِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَدْخُلَ هُوَ وَغَيْرُهُ تَحت قَضِيَّةٍ كُلِّيَّةٍ يَسْتَوِي أَفْرَادُهَا.

ليس ذلك لفساد قياس التمثيل وقياس الشمول في نفسيهما، بل هما قياسان صحيحان مستخدمان عند أهل العلم؛ وإنما منع منهما هنا في هذا الباب؛ لأن الخالق والمخلوقان لا مماثلة بينها ولا تساو، وهذان القياسان لا يعملان إلا في فرع وأصل متماثلين أو متساويين، ولذلك لا يصلح في هذا الباب إلا قياس الأولى كما يتبين من الأمثلة المقبلة.

وَلِهَذَا لَمَّا سَلَكَتْ طَوَائِفُ مِنَ الْمُتَفَلْسِفَةِ وَالْمُتَكَلِّمَةِ مِثْلَ هَذِهِ الْأَقْيِسَةِ فِي الْمَطَالِبِ الْإِلَهِيَّةِ – لَمْ يَصِلُوا بِهَا إِلَى الْيَقِينِ، بَلْ تَنَاقَضَتْ أَدِلَّتُهُمْ، وَغَلَبَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ التَّنَاهِي الْحَيْرَةُ وَالِاضْطِرَابُ، لِمَا يَرَوْنَهُ مِنْ فَسَادِ أَدِلَّتِهِمْ أَوْ تَكَافُئِهَا.

يقصد بالعلم الإلهي هنا أو الإلهيات: الأسماء والصفات أسماء الله وصفاته، فإن المسلم لابد أن يعرف ربه الذي يعبده؛ بأسمائه وصفاته، والطريق إلى ذلك هو: الاكتفاء بما جاء في القرآن الكريم من وصف الله لنفسه، وبما جاء في السنة النبوية من وصف الرسول - صلى الله عليه وسلم - لربه، فالله أعلم بنفسه والرسول- صلى الله عليه وسلم - أعلم بربه، فنقتصر على ذلك.

ولا يصح أن نستعمل الأقيسة كقياس التمثيل أو قياس الشمول، فمثلا: يقولون الإنسان تحله الحوادث؛ وكل ما تحله الحوادث فهو حادث.

فإذا قيل لهم: إن الرب تبارك وتعالى موصوف بأنه: استوى على العرش، ينزل، يفرح، يضحك.

قالوا: هذه حوادث؛ ولو صح أن يوصف بذلك لكان مُحدَثا؛ لأن كل ما تحله الحوادث فهو حادث.

فيقال لهم ما سبق: من أنه لا يجوز في هذا الباب – باب الأسماء والصفات - أن يستدل بأي نوع من أنواع الأقيسة شمولية أو تمثيلية، مثل أن يقال هذا مثل هذا، الله حي والإنسان حي؛ إذا هذا مثل هذا؛ لاستوائهم في مفهوم الحياة.

فنقول: هذا غلط، نحن نفهم من لفظ الحي معنى معينا ولكن لله منه أكمله وأعظمه، ولا تستوي حياة الإنسان أو تشبه بحياة الله عز وجل.

فلا يصح أن تقيس الرب على الخلق أو تقيس الخلق على الرب، لأن الذي يقيس المخلوق على الخالق يرفع المخلوق إلى مرتبة الرب كما فعلت النصارى بعيسى، والذي يقيس الخالق على المخلوق فقد أساء في حق الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

فالشارح يتكلم على أن إثبات الصفات مثل: الحياة والعلم والقدرة والإرادة وما أشبه ذلك؛ وإن كان الإنسان يوصف بذلك لا يعني أن الرب والعبد قد دخلا في قياس شمولي، أو في قياس تمثيلي، أو في أصل يستوي فيه الأصل مع الفرع، بل وجود الاشتراك الكلي في ذلك لا يلزم منه شيء من ذلك القياس.

يُسْتَعْمَلُ فِي حَقِّ اللَّهِ قِيَاسُ الْأَوْلَى

وَلَكِنْ يُسْتَعْمَلُ فِي ذَلِكَ قِيَاسُ الْأَوْلَى، سَوَاءً كَانَ تَمْثِيلًا أَوْ شُمُولًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠].

مثال قياس الأولى: إذا كان العلم في الإنسان كمال وصفة مدح فالله أولى بالكمال من الإنسان، إذا كان الكلام في الإنسان كمال فالله أولى بالكمال من الإنسان وهكذا.

ومن جهة أخرى تستعمل الأدلة العقلية في هذا الباب مثل قولهم: إن فاقد الشيء لا يعطيه، فإذا كان الله قد وهب للإنسان العلم والكلام والحياة والسمع والبصر فمحال أن يكون خاليا من ذلك؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه. فمن عدم الكمال لم يستطع أن يعطي غيره كمالا.

فمستحيل أن يهب الكمال لغيره وهو خال منه، ومستحيل أن يكون غير الله أكمل من الله.

مِثْلَ أَنْ (يعْلَمَ)[1] أَنَّ كُلَّ كَمَالٍ لِلْمُمْكِنِ أَوْ لِلْمُحْدَثِ، لَا نَقْصَ فِيهِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، وَهُوَ مَا كَانَ كَمَالًا لِلْوُجُودِ غَيْرَ مُسْتَلْزِمٍ لِلْعَدَمِ بِوَجْهٍ: فَالْوَاجِبُ الْقَدِيمُ أَوْلَى بِهِ.

وَكُل كَمَالٍ لَا نَقْصَ فِيهِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، ثَبَتَ نَوْعُهُ لِلْمَخْلُوقِ وَالْمَرْبُوبِ الْمُدبَّرِ –: فَإِنَّمَا اسْتَفَادَهُ مِنْ خَالِقِهِ وَرَبِّهِ وَمُدبِّرِهِ، وَهُوَ أَحَقُّ

---

(١) هكذا بالياء (يعلم) في درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٩)، وفي الفتاوى الكبرى (١/ ١٣٠)، مجموع الفتاوى (٣/ ٢٩٧) كلاهما لابن تيمية، رسالة في أصول الدين (ص: ٩) بالنون (نعلم).

بِهِ مِنْهُ. وَأَنَّ كُلَّ نَقْصٍ وَعَيْبٍ فِي نَفْسِهِ، وَهُوَ مَا تَضَمَّنَ سَلْبَ هَذَا الْكَمَالِ، إِذَا وَجَبَ نَفْيُهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَخْلُوقَاتِ وَالْمُمْكِنَاتِ وَالْمُحْدَثَاتِ: فَإِنَّهُ يَجِبُ نَفْيُهُ عَنِ الرَّبِّ تَعَالَى بِطَرِيقِ الْأَوْلَى"(٢).

من الأمثلة في النفي: أن الإنسان يحتاج إلى الأكل والشرب ثم يحتاج إلى الخلى لإخراج الخبث. فالملَك بالنسبة للإنسان في هذا أكمل؛ لأنه لا يحتاج إلى هذا، فهذا نقص في الإنسان، والله أولى أن ينزه عن هذا النقص، ولذلك قال تعالى ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤]، وقال في بيان بطلان إلهية عيسى وبيان أنه ليس بإله ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥] وفيه التنبيه بقضية أكل الطعام على ما بعد ذلك من الحاجة إلى إخراج الفضلات، وأيضا فكونه يأكل الطعام يدل على أنه مفتقر إلى غيره، فنحن مفتقرون إلى الطعام والشراب، فإن لم نحصل عليه فسنموت. فوجودنا من غيرنا وليس ذاتيا، ولو كان

(٢) ما بين علامتي التنصيص هو من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية كما في الفتاوى الكبرى (١/ ١٢٩-١٣٠)، درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٩)، رسالة في أصول الدين (ص: ٩)، مجموع الفتاوى (٣/ ٢٩٧).

ذاتيا لاستغنينا عن الآخرين، ولكن أنت محدث محتاج مفتقر، والله هو الذي وضعك على هذه الصفة.

وَمِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ: أَنَّ مِنْ غُلَاةِ نُفَاة الصِّفَاتِ الَّذِينَ يَسْتَدِلُّونَ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَلَى نَفْيِ الصِّفَاتِ وَالْأَسْمَاءِ.

يقصد بالآية قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فيأتي النفاة إلى هذه الآية ثم يسلطونها على بقية الآيات، فإذا قلت أن الله وصف نفسه بأن له يدين ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، قالوا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ يريدون نفي اليدين، وإذا قلت في قوله تعالى ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] الله يثبت لنفسه الوجه، قالوا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ يريدون نفي صفة الوجه، وإذا قيل لهم ربنا استوى على العرش، قالوا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وهكذا.

فيقال لهم: الآية نفسها ترد عليكم لأنه قال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وختمها بقوله ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ فدل على أن قوله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ لا يعني نفي الصفات، وإلا فما معنى قوله ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، فالمنفي هو المثيل لله عز وجل لا نفي الصفات، ونحن نثبت الصفة على وجه يليق بجلال الله لا تشبهه صفات المخلوقين.

وَيَقُولُونَ: وَاجِبُ الْوُجُودِ لَا يَكُونُ كَذَا وَلَا يَكُونُ كَذَا – ثُمَّ يَقُولُونَ: أَصْلُ الْفَلْسَفَةِ هِيَ التَّشَبُّهُ بِالْإِلَهِ عَلَى قَدْرِ الطَّاقَةِ.

مع قولهم بالتعطيل هم يقولون: الفلسفة هي التشبه بالإله، فيقولون الرب عليم فينبغي أن تكون عليما، الرب حكيم فينبغي أن تكون حكيما وهكذا، فإذا كنتم لا تثبتون لله صفة فكيف ستشبه به؟! هذا تناقض.

في باب الأدب والأخلاقيات يقولون: الفلسفة هي التشبه بالرب، لكن حين يأتون إلى باب الأسماء والصفات يعطلون، وهذا مثل تناقض الأشعرية، إذا كانوا في أصول الفقه وذكروا القياس أثبتوا العلة والتعليل والحكمة، وإذا جاؤا إلى مباحث العقيدة أنكروا حكمة الرب.

وَيَجْعَلُونَ هَذَا غَايَةَ الْحِكْمَةِ وَنِهَايَةَ الْكَمَالِ الْإِنْسَانِيِّ، وَيُوَافِقُهُمْ عَلَى ذَلِكَ بَعْضُ مَنْ يُطْلِقُ هَذِهِ الْعِبَارَةَ(٣). وَيرْوِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ»(٤).

---

(٣) قال شيخ الإسلام "وصنف أبو حامد شرح أسماء الله الحسنى وضمنه التشبه بالله في كل اسم من أسمائه وسماه التخلق حتى في اسمه الجبار والمتكبر والإله ونحو ذلك من الأسماء التي ثبت بالنص والإجماع أنها مختصة بالله وأنه ليس للعباد فيها نصيب كقول النبي – صلى الله عليه وسلم - في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره "يقول الله تعالى: العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما عذبته". وسلك هذا المسلك ابن عربي وابن سبعين وغيرهما من ملاحدة الصوفية وصار ذلك مع ما ضموا إليه من البدع والإلحاد موقعا لهم في الحلول والاتحاد. وقد أنكر المازري وغيره على أبي حامد ما ذكره في التخلق وبالغوا في النفي حتى قالوا ليس لله اسم يتخلق به العبد.

ولهذا عدل أبو الحكم بن برجان عن هذا اللفظ إلى لفظ التعبد، ولبسط الكلام على ذلك موضع آخر، فإن من أسمائه وصفاته ما يحمد العبد على الاتصاف به، كالعلم والرحمة والحكمة وغير ذلك، ومنها ما يذم العبد على الاتصاف به، كالإلهية والتجبر والتكبر". الصفدية (٢/ ٣٣٧)، وانظر: الرد على الشاذلي في حزبيه وما صنفه في آداب الطريق (ص: ٩٦)، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٦/ ٥١٨)، جامع المسائل – عزير شمس (٦/ ١٢٤) كلها لابن تيمية.

حديث «تخلقوا بأخلاق الله» لا يعرف له أصل في شيء من كتب السنة ليس بحديث، وإذا قال المحدثون: ليس له أصل أي ليس له سند(٥).

---

(٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهذا اللفظ لا يعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم في شيء من كتب الحديث ولا هو معروف عن أحد من أهل العلم بل هو من باب الموضوعات عندهم وإن كان قد يفسر بمعنى صحيح يوافق الكتاب والسنة فإن الشارع قد ذكر أنه يحب اتصاف العبد بمعاني أسماء الله تعالى كقول النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله جميل يحب الجمال، إنه وتر يحب الوتر، إنه طيب لا يقبل إلا طيباً، الراحمون يرحمهم الرحمن، إنك عفو تحب العفو فاعف عني، إن الله نظيف يحب النظافة " بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٦/ ٥١٨)، وانظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٦/ ٣٤٦) ح(٢٨٢٢).

(٥) انظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي (١/ ٣٥٠)، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث (ص: ١٢٢)، من قول ابن تيمية.

فكل الأحاديث المروية عن النبي – صلى الله عليه وسلم – لها أسانيد وكذلك القرآن وهذا أمر خاص بالمسلمين لا يوجد عند اليهود ولا النصارى، فهذا الحديث (تخلقوا بأخلاق الله) بحثوا عنه فلم يجدوا له إسنادا، وكذلك الحديث المشهور(اختلاف أمتي رحمة)[٦] لا أصل له، وحديث (من اعتقد في حجر نفعه)[٧] لا أصل له، وحديث (اسكنوا المدن وإن جارت)[٨]، وهو مشتهر على ألسنة العامة في بلدنا، ولا أصل له، فهناك أحاديث ليس لها سند فيقال فيه: باطل لا أصل له، وأحاديث لها سند ولكن يكون فيه كذاب مثلا، فيقال هذا حديث مكذوب.

---

(٦) انظر تخريجه والكلام عليه في: شرح النووي على مسلم (١١/ ٩١)، المقاصد الحسنة (ص: ٦٩)(٣٩)، كشف الخفاء ت هنداوي (١/ ٧٥) (١٥٣)، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين للعراقي وابن السبكي والزبيدي (١١٤٥ – ١٢٠٥ هـ) استخراج: الحداد (١/ ١٠٦)، الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٤/ ٧٩)، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة للألباني (١/ ١٤١) ح(٥٧)، المقترح في أجوبة بعض أسئلة المصطلح لمقبل بن هادي الوادعي(ص: ١٤).

(٧) انظر: الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث لأحمد العزي العامري (ص: ٢٢٨) ح(٥٠٥).

(٨) لم أجده.

فَإِذَا كَانُوا يَنْفُونَ الصِّفَاتِ، فَبِأَيِّ شَيْءٍ يَتَخَلَّقُ الْعَبْدُ عَلَى زَعْمِهِمْ؟! وَكَمَا أَنَّهُ لَا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ تَعَالَى، لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، لَكِنَّ الْمُخَالِفَ فِي هَذَا النَّصَارَى، وَالْحُلُولِيَّةُ. وَالِاتِّحَادِيَّةُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى.

يقولون أن الله حل في عيسى، وزعموا أن عيسى مكون من الله وروح القدس وعيسى، وأن الله ثالث ثلاثة، وقد كفرهم الله بذلك، ومن لم يكفرهم فهو كافر، ومن ترحم على بعض موتى النصارى وغيرهم من الكفار فهو ضال مضل ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣].

والحلولية يقولون: الله في كل مكان.

فنقول ماذا تقصدون بقولكم (الله في كل مكان) بعلمه أم بذاته؟

فإن قالوا بذاته، فهذا كفر أشد من كفر النصارى؛ لكن إن قالوا: قصدنا علمه في كل مكان.

قلنا هذا المعنى صحيح؛ ولكن اتركوا هذا التعبير وقولوا علم الله في كل مكان، أو الله يعلم كل شيء، أو لا يغيب عنه شيء، هاتوا عبارة تتفق مع القرآن، أما عبارتكم تلك فهي لا تتفق مع القرآن.

أما الاتحادية فهم أشد كفرا؛ حيث يقولون أن الله اتحد بالكون أشد من اتحاد السمن بالحليب، ويقول بعضهم الله في الكون كالماء في الشجر، أو مثل النار في الحطب، أو مثل الروح في الجسد، وهذا كله كفر أشد من كفر النصارى[1]، بل الله فوق السموات، مستو على العرش.

---

(١) وقد فصل شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على الاتحادية كما تجد ذلك في رسالة بعنوان (حقيقة مذهب الاتحاديين ووحدة الوجود). ضمن مجموع الفتاوى (١٣٤/٢- ٢٨٥)، وله كتاب في ذلك باسم: بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد.

نحن نمد أيدينا إليه في جهة العلو[٢]، ولو كان في كل مكان لكان كل شخص يمد يديه إلى أي جهة فقد مدها إلى الله، تعالى الله عن ذلك. بل الله فوق سبع سموات قال تعالى ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦] أي الذي في السماء ﴿أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦]، وقال ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]

(٢) انظر: الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري (ص: ١٠٦-١٠٧)، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٤/ ٤٨٥-٥١٨)، التحفة المدنية في العقيدة السلفية (ص: ١٤٨) كلاهما لابن تيمية. وقد أجاب شيخ الإسلام على ما أثاره الرازي حول دلالة رفع أيدي الداعين وقصدهم العلو في: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٤/ ٤٨١-٦٢٩) من أربعين وجها.

والعرش فوق السموات[٣]

---

(٣) كما في حديث الأوعال وهو في سنن أبي داود (٤/ ٢٣١) ح(٤٧٢٣)، سنن الترمذي ت بشار (٥/ ٢٨١) ح(٣٣٢٠) وقال "هذا حديث حسن غريب"، سنن ابن ماجه (١/ ٦٩) ح(١٩٣)، وحسنه شيخ الإسلام في العقيدة الواسطية وهي ضمن مجموع الفتاوى (٣/ ١٣٩). وأجاب على من طعن فيه انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٩٢) كما رد على الطاعنين في هذا الحديث ابن قيم الجوزية في تهذيب سنن أبي داود وإيضاح مشكلاته ت إسماعيل ط المعارف (٢ / ٢١٥٨-٢١٦٣) وصححه في اجتماع الجيوش الإسلامية الناشر: مطابع الفرزدق التجارية - الرياض (٢/ ١٦٣) وفي مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص: ٤٣٣) وانظر: ابن قيم الجوزية وجهوده في خدمة السنة النبوية وعلومها (٢/ ٣٣). وسيذكره الشارح ابن أبي العز عند شرحه لقول الطحاوي (**وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ حَقٌّ**) في آخر الكتاب.

بإجماع المسلمين[٤]، وقال تعالى ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

وَنَفْيُ مُشَابَهَةِ شَيْءٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ لَهُ، مُسْتَلْزِمٌ لِنَفْيِ مُشَابَهَتِهِ لِشَيْءٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ. فَلِذَلِكَ اكْتَفَى الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: (وَلَا يُشْبِهُهُ الْأَنَامَ)، وَالْأَنَامُ: النَّاسُ، وَقِيلَ، كُلُّ ذِي رُوحٍ، وَقِيلَ: الثَّقَلَانِ، وقيل

---

(٤) انظر: أصول السنة لابن أبي زَمَنِين (ص: ٨٨) حيث قال ابن أبي زمنين: "ومن قول أهل السنة: أن الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاء"، العرش وما روي فيه - محققا (ص: ٨٧)، النقض على المريسي ت الشوامي (ص: ١٢٠)، وفي الفقه الأكبر (ص: ١٣٥): "قال أبو حنيفة من قال لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض فقد كفر، وكذا من قال إنه على العرش ولا أدري العرش أفي السماء أو في الأرض". وذكره شيخ الإسلام كما في: الفتوى الحموية الكبرى (ص: ٣٢١)، درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٢٦٣)، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ط عالم الفوائد (١/ ١٩٨)، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٤/ ١٢٩٨).

الخلق كله. وَظَاهِرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [الرحمن: ١٠]. يَشْهَدُ لِلْأَوَّلِ أَكْثَرَ مِنَ الْبَاقِي(٥). وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

القول بأن قوله تعالى ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [الرحمن: ١٠] يرجح تفسير الأنام بالناس يشكل عليه أنه قد قال تعالى ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٠ - ٣٣] ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [عبس: ٢٤ - ٣٢] فجعل ما في الأرض متاعا للإنس وأنعامهم. ولكن يمكن أن يقال الإنسان سيد كما في الحديث «كل نفس من بني آدم سيد فالرجل سيد أهله والمرأة سيدة بيتها»(٦) والأنعام من جملة المتاع للإنسان.

---

(٥) انظر: تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٢٢/ ١٥)، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٤/ ٢٠٦)، تفسير العز بن عبد السلام (٣/ ٢٦٢).

(٦) عمل اليوم والليلة لابن السني (ص: ٣٤٦) ح(٣٨٨). وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٥/ ٦٩) رقم (٢٠٤١).

الْأَدِلَّةُ عَلَى صِفَتَيِ الحَيَاةِ وَالْقَيُّومِيَّةِ

قَوْلُهُ: (حَيٌّ لَا يَمُوتُ قَيُّومٌ لَا يَنَامُ)

ش: قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فَنَفْيُ السِّنَةِ وَالنَّوْمِ دَلِيلٌ عَلَى كَمَالِ حَيَاتِهِ وَقَيُّومِيَّتِهِ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الم (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [آل عمران: ١ - ٣]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١].

جاء حديث صحيح بأن اسم الله الأعظم هو: الحي القيوم وأنه في سورة البقرة في آية الكرسي ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وآل عمران في أول السورة ﴿الم (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١، ٢](٧)، وطه ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١](٨).

---

(٧) عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ [البقرة: ١٦٣]، وفاتحة سورة آل عمران: ﴿الم (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١، ٢]» سنن أبي داود (٢/ ٨٠) ح(١٤٩٦)، سنن الترمذي ت بشار (٥/ ٣٩٤) ح(٣٤٧٨) وقال "هذا حديث حسن صحيح".

(٨) عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في سور ثلاث: البقرة، وآل عمران، وطه» سنن

وَقَالَ تعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ [الفرقان: ٥٨]. وَقَالَ تعَالَى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر: ٦٥]. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ»(٩) الْحَدِيثَ.

لَمَّا نَفَى الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ التَّشْبِيهَ، أَشَارَ إِلَى مَا تَقَعُ بِهِ التَّفْرِقَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، بِمَا يَتَّصِفُ بِهِ تَعَالَى دُونَ خَلْقِهِ: فَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّهُ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، لِأَنَّ صِفَةَ الْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ مُخْتَصَّةٌ بِهِ تَعَالَى، دُونَ خَلْقِهِ، فَإِنَّهُمْ يَمُوتُونَ.

وَمِنْهُ: أَنَّهُ قَيُّومٌ لَا يَنَامُ، إِذْ هُوَ مُخْتَصٌّ بِعَدَمِ النَّوْمِ وَالسِّنَةِ، دُونَ خَلْقِهِ، فَإِنَّهُمْ يَنَامُونَ.

ابن ماجه (٢/ ١٢٦٧) ح(٣٨٥٦)، وحسنه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٣٧١) ح(٧٤٦).

(٩) عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يرفع القسط ويخفضه، ويرفع إليه عمل النهار بالليل، وعمل الليل بالنهار» صحيح مسلم (١/ ١٦٢) ح٢٩٥ - (١٧٩).

﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] السنة: النعاس(١٠).

وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ نَفْيَ التَّشْبِيهِ لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهُ نَفْيَ الصِّفَاتِ، بَلْ هُوَ سُبْحَانَهُ مَوْصُوفٌ، بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، لِكَمَالِ ذَاتِهِ. فَالْحَيُّ بِحَيَاةٍ بَاقِيَةٍ لَا يُشْبِهُ الْحَيَّ بِحَيَاةٍ زَائِلَةٍ، وَلِهَذَا كَانَتِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعًا وَلَهْوًا وَلَعِبًا وَأَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ، فَالْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَالْمَنَامِ، وَالْحَيَاةُ الْآخِرَةُ كَالْيَقَظَةِ.

وَلَا يُقَالُ: فَهَذِهِ الْحَيَاةُ الْآخِرَةُ كَامِلَةٌ، وَهِيَ لِلْمَخْلُوقِ؛ لِأَنَّا نَقُولُ: الْحَيُّ الَّذِي الْحَيَاةُ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ اللَّازِمَةِ لَهَا، هُوَ الَّذِي وَهَبَ الْمَخْلُوقَ تِلْكَ الْحَيَاةَ الدَّائِمَةَ، فَهِيَ دَائِمَةٌ بِإِدَامَةِ اللَّهِ لَهَا، لَا أَنَّ الدَّوَامَ وَصْفٌ لَازِمٌ لَهَا لِذَاتِهَا، بِخِلَافِ حَيَاةِ الرَّبِّ تَعَالَى.

فالحياة الأخروية دائمة بإدامة الله لها، ولو شاء أن يسلبها سلبها ولكنه لا يسلبها، وأما حياة الله فهي حياة دائمة، لا يتصور عدمها، ولا يصح أن يقال هل يقدر الله أن يميت نفسه؟! هذا الكلام مستحيل، أما حياة الناس في الجنة فهي دائمة وأبدية لكن بإدامة الله لها ولو شاء أن يسلبهم

(١٠) روى الطبري ذلك عن جماعة من السلف منهم ابن عباس رضي الله عنه: تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٥/ ٣٩١).

سلبهم وإن كان هذا لا يقع؛ لأن الله وعد بأنه لا يقع[١١]، فحياتهم دائمة ولكنها من غيرهم، أما حياة الله فهي ذاتية له سبحانه.

وَكَذَلِكَ سَائِرُ صِفَاتِهِ، فَصِفَاتُ الْخَالِقِ كَمَا يَلِيقُ بِهِ، وَصِفَاتُ الْمَخْلُوقِ كَمَا يَلِيقُ بِهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ، أَعْنِي: الْحَيَّ الْقَيُّومَ مَذْكُورَانِ فِي الْقُرْآنِ مَعًا فِي ثَلَاثِ سُوَرٍ كَمَا تَقَدَّمَ، وَهُمَا مِنْ أَعْظَمِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُمَا الِاسْمُ الْأَعْظَمُ

تعبيره بـ(**حَتَّى قِيلَ**) فيه قصور فقد ورد في ذلك حديث صحيح ثابت[١٢].

---

(١١) كما قال تعالى ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] أي غير مقطوع ولا منزوع كما نقل ذلك الطبري عن جمع من السلف انظر: تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٥/ ٤٨٩-٤٩١).

(١٢) كما في حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها في سنن أبي داود (٢/ ٨٠) ح(١٤٩٦)، سنن الترمذي ت بشار (٥/ ٣٩٤) ح(٣٤٧٨)، وحديث أبي أمامة رضي الله عنه في سنن ابن ماجه (٢/ ١٢٦٧) ح(٣٨٥٦). وقد مرا قريبا.

فَإِنَّهُمَا يَتَضَمَّنَانِ إِثْبَاتَ صِفَاتِ الْكَمَالِ أَكْمَلَ تَضَمُّنٍ وَأَصْدَقَهُ، وَيَدُلُّ الْقَيُّومُ عَلَى مَعْنَى الْأَزَلِيَّةِ وَالْأَبَدِيَّةِ مَا لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ لَفْظُ الْقَدِيمِ. وَيَدُلُّ أَيْضًا عَلَى كَوْنِهِ مَوْجُودًا بِنَفْسِهِ، وَهُوَ مَعْنَى كَوْنِهِ وَاجِبَ الْوُجُودِ. "وَالْقَيُّومُ أَبْلَغُ مِنَ الْقَيَّامِ لِأَنَّ الْوَاوَ أَقْوَى مِنَ الْأَلِفِ، وَيُفِيدُ قِيَامَهُ بِنَفْسِهِ، بِاتِّفَاقِ الْمُفَسِّرِينَ وَأَهْلِ اللُّغَةِ، وَهُوَ مَعْلُومٌ بِالضَّرُورَةِ. وَهَلْ يُفِيدُ إِقَامَتَهُ لِغَيْرِهِ وَقِيَامَهُ عَلَيْهِ؟ فِيهِ قَوْلَانِ، أَصَحُّهُمَا: أَنَّهُ يُفِيدُ ذَلِكَ.

هذا هو الصحيح، وهو مستفاد من علم التصريف، فقيوم متعدي مثل رحيم موصوف بالرحمة ويرحم غيره، ومقصودهم أن هذا الاسم بخصوصه يدل على قيامه تعالى بنفسه وإقامته لغيره وقيامه عليه، وإلا فأدلة ذلك من غير هذا الاسم كثيرة معلومة من ذلك قوله تعالى ﴿قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣] ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] ونحو ذلك هذا معلوم بالضرورة.

وَهُوَ يُفِيدُ دَوَامَ قِيَامِهِ (وَكَمَالَ قِيَامِهِ)[١٣]، لِمَا فِيهِ مِنَ الْمُبَالَغَةِ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَا يَزُولُ وَلَا يَأْفُلُ، فَإِنَّ الْآفِلَ قَدْ زَالَ قَطْعًا، أَيْ: لَا يَغِيبُ وَلَا

---

(١٣)كذا في شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (١/ ٩١)، وأما ط دار السلام (ص: ١٢١)، ط الأوقاف السعودية (ص: ٧٧) فجاءت هكذا (وكل قيامه).

يَنْقُصُ وَلَا يَفْنَى وَلَا يَعْدَمُ، بَلْ هُوَ الدَّائِمُ الْبَاقِي الَّذِي لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ، مَوْصُوفًا بِصِفَاتِ الْكَمَالِ. وَاقْتِرَانُهُ بِالْحَيِّ يَسْتَلْزِمُ سَائِرَ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَيَدُلُّ عَلَى بَقَائِهَا وَدَوَامِهَا، وَانْتِفَاءِ النَّقْصِ وَالْعَدَمِ عَنْهَا أَزَلًا وَأَبَدًا. وَلِهَذَا كَانَ قَوْلُهُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] أَعْظَمَ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الصَّحِيحِ[١٤] عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"[١٥].

مَدَارُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى كُلِّهَا عَلَى اسْمَيِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ

فَعَلَى هَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ "مَدَارُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى كُلِّهَا، وَإِلَيْهِمَا تَرْجِعُ مَعَانِيهَا. فَإِنَّ الْحَيَاةَ مُسْتَلْزِمَةٌ لِجَمِيعِ صِفَاتِ الْكَمَالِ، فَلَا يَتَخَلَّفُ

---

(١٤) عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. قال: فضرب في صدري، وقال: «والله ليهنك العلم أبا المنذر» صحيح مسلم (١/ ٥٥٦) ٢٥٨ - (٨١٠).

(١٥) هذا كلام شيخ الإسلام كما في جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس (١/٤٠- ٥٩) بتصرف يسير.

عَنْهَا صِفَةٌ مِنْهَا إِلَّا لِضَعْفِ الْحَيَاةِ، فَإِذَا كَانَتْ حَيَاتُهُ تَعَالَى أَكْمَلَ حَيَاةٍ وَأَتَمَّهَا، اسْتَلْزَمَ إِثْبَاتُهَا إِثْبَاتَ كُلِّ كَمَالٍ يُضَادُّ نَفْيُهُ كَمَالَ الْحَيَاةِ.

وَأَمَّا الْقَيُّومُ فَهُوَ مُتَضَمِّنٌ كَمَالَ غِنَاهُ وَكَمَالَ قُدْرَتِهِ، فَإِنَّهُ الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى غَيْرِهِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ. الْمُقِيمُ لِغَيْرِهِ، فَلَا قِيَامَ لِغَيْرِهِ إِلَّا بِإِقَامَتِهِ. فَانْتَظَمَ هَذَانِ الِاسْمَانِ صِفَاتِ الْكَمَالِ"[16] أَتَمَّ انْتِظَامٍ.

---

(١٦) ما بين علامتي التنصيص هو من كلام ابن القيم في بدائع الفوائد (٢/ ١٨٤) مع اختصار لبعض الجمل.

صِفتَا الخَلْقِ والرِّزْقِ

قَوْلُهُ: (خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ، رَازِقٌ بِلَا (مُؤُونَةٍ)[1])

ش: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨]. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]. ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [محمد: ٣٨]. ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤].

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ

---

(١) كذا في شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (١/ ٩٢)، وأما ط دار السلام (ص: ١٢٢)، ط الأوقاف السعودية (ص: ٧٨،٧٩) فجاءت هكذا (مؤنة) وكذلك هي في متن الطحاوية بتعليق الألباني (ص: ٣٤)، التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية لصالح الفوزان (ص: ٣٩)، وضمن الشرح في شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (١/ ٩٣) كما سيأتي.

وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ – مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ» الْحَدِيثَ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ[٢].

أي: فيما روى النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عن الله تبارك وتعالى أنه قال، فالحديث قدسي. وهو من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال عنه الإمام أحمد: "هو أشرف حديث لأهل الشام"[٣].

وَقَوْلُهُ (بِلَا مُئُونَةٍ): بِلَا ثِقَلٍ وَلَا كُلْفَةٍ.

الْإِمَاتَةُ وَالْبَعْثُ

قَوْلُهُ: (مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّةٍ)

ش: "الْمَوْتُ صِفَةٌ وُجُودِيَّةٌ"[٤]، خِلَافًا لِلْفَلَاسِفَةِ[٥] وَمَنْ وَافَقَهُمْ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]. وَالْعَدَمُ لَا يُوصَفُ بِكَوْنِهِ مَخْلُوقًا. وَفِي الْحَدِيثِ: «أَنَّهُ يُؤْتَى

---

(٢) صحيح مسلم (٤/ ١٩٩٤) ح٥٥ – (٢٥٧٧).

(٣) انظر: رياض الصالحين ت الفحل (ص: ٥٧) الأذكار للنووي ت الأرنؤوط (ص: ٤١٣) مجموع الفتاوى (٨/ ٥١٠)، جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط (٢/ ٣٤).

(٤) التعريفات للجرجاني(ص: ٢٣٥).

(٥) انظر: البرهان في علوم القرآن (٣/ ٢٤٣).

بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ»(٦). وَهُوَ وَإِنْ كَانَ عَرَضًا فَاللَّهُ تَعَالَى يَقْلِبُهُ عَيْنًا.

يكون عرضا عندما يوضع على الشخص، لكن هو في نفسه عين، ولو قدر أنه عرض فلا مانع أن يكون محسوسا في الآخرة.

وأيضا قد وصف بما لا يوصف به إلا الموجود مثل ملك الموت، قال تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ﴾ [الملك: ٢]، يتصور كثير من الناس أن الموت عبارة عن انقطاع، وأنه أمر عدمي، ولكن أهل العلم يقولون: الموت أمر وجودي، صفة توجد في الإنسان فتنتهي حياته، وتنتقل روحه إلى الملأ الأعلى.

وهذا الموت يقلبه الله يوم القيامة عينا على صورة كبش، وفي الحديث «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة

---

(٦) صحيح البخاري (٦/ ٩٣) ح(٤٧٣٠)، صحيح مسلم (٤/ ٢١٨٨) ح٤٠ - (٢٨٤٩). وسيأتي لفظهما في تعليق شيخنا حفظه الله.

خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت»[٧] وقال في رواية أخرى «فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم»[٨]، فثبت أن الموت صفة وجودية؛ لأنه يكون موجودا فيذبح، فالموت انتقال لا فناء[٩]، تنتقل به الروح إلى مكان آخر إلى الملأ الأعلى بالنسبة للمؤمنين وأما الكفار فإلى سجين والأصل في ذلك حديث البراء وفيه أنه قال في حق المؤمن «اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى"، قال: " فتعاد روحه في جسده ... »الخ، وقال في حق الكافر «اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحا ... »[١٠].

---

(٧) صحيح البخاري (٦/ ٩٣) ح(٤٧٣٠) واللفظ له، صحيح مسلم (٤/ ٢١٨٨) ح٤٠ - (٢٨٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٨) صحيح البخاري (٨/ ١١٣) ح(٦٥٤٨) صحيح مسلم (٤/ ٢١٨٩) ح٤٣ - (٢٨٥٠) من حدث ابن عمر رضي الله عنه.

(٩) انظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: ٤٥٩)، شرح النووي على مسلم (٦/ ٢٢٤) .

(١٠) مسند أحمد ط الرسالة (٣٠/ ٤٩٩) (١٨٥٣٤) قال محققه: "إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح".

تنبيه: هناك عقيدة فاسدة وهي عقيدة التناسخ يقال أنه يعتقدها النصيرية والدروز وهي عند بعض الهنود، حتى أن بعضهم اليوم يعتني بتغذية الفئران ويبرر ذلك بأن الأطفال إذا ماتوا انتقلت أرواحهم إلى أجساد تلك الفئران، وبعض الضالين يقول أن الروح إذا كانت طيبة انتقلت إلى أشياء طيبة، وإذا كانت روحه خبيثة انتقلت إلى أشياء خبيثة شقية[١١].

أما عقيدة المسلمين فهي: أن الأرواح تكون عند الله ويكرم الله الشهداء بأن يدخل «أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئا؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم

(١١) انظر: الرد الجميل على المشككين في الإسلام من القرآن والتوراة والإنجيل والعلم (ص: ٢١٢)، أثر الملل والنحل القديمة في بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام (ص: ٦٩)، وهذا القول من معتقدات جملة من النحل والفرق كما في الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة كالإسماعيلية كما في (١/ ٣٨٣)، والنصيرية كما في (١/ ٣٩٠)، والدروز كما في (١/ ٣٩٧) والحشاشين كما في (١/ ٤٠٣)، والقاديانية كما في(١/ ٤١٦)، والهندوسية كما في (٢/ ٧٢٤)، والجينية كما في (٢/ ٧٤٤)، والبوذية كما في (٢/ ٧٦١).

لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا»(١٢).

كَمَا وَرَدَ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ: «أَنَّهُ يَأْتِي صَاحِبَهُ فِي صُورَةِ الشَّابِّ الْحَسَنِ، وَالْعَمَلُ الْقَبِيحُ عَلَى أَقْبَحِ صُورَةٍ»(١٣) وَوَرَدَ فِي الْقُرْآنِ: أَنَّهُ «يَأْتِي عَلَى صُورَةِ الشَّابِّ الشَّاحِبِ اللَّوْنِ»(١٤)، الْحَدِيثَ أَيْ قِرَاءَةَ

---

(١٢) صحيح مسلم (٣/ ١٥٠٢) ح١٢١ - (١٨٨٧).

(١٣) أصله في مسند أحمد ط الرسالة (٣٠/ ٤٩٩) ح(١٨٥٣٤) قال محققوه "إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح".

(١٤) أصله في سنن ابن ماجه (٢/ ١٢٤٢) ح(٣٧٨١) بلفظ «يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب فيقول: أنا الذي أسهرت ليلك، وأظمأت نهارك» قال الهيثمي "قلت: روى ابن ماجه منه طرفا. رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح" مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٧/ ١٥٩)، وأورده الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٦/ ٧٩٢) برقم (٢٨٢٩).

الْقَارِئِ[١٥] وَوَرَدَ فِي الْأَعْمَالِ: أَنَّهَا «تُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ»[١٦]، وَالْأَعْيَانُ هِيَ الَّتِي تَقْبَلُ الْوَزْنَ دُونَ الْأَعْرَاضِ.

وَوَرَدَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ: أَنَّهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُظِلَّانِ صَاحِبَهُمَا كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَايَتَانِ[١٧] أَوْ فِرْقَانِ[١٨] مِنْ طَيْرٍ

---

(١٥) أي: ثواب القرآن كما قال الإمام أحمد، انظر: الرد على الجهمية والزنادقة (ص: ١٦٦).

(١٦) انظر: حديث «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» صحيح البخاري (٩/ ١٦٢) ح(٧٥٦٣)، صحيح مسلم (٤/ ٢٠٧٢) ح٣١ - (٢٦٩٤) وغيره كثير وسيأتي جملة من ذلك في كلام الشارح ابن أبي العز.

(١٧) "قال أهل اللغة الغمامة والغياية كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغبرة وغيرهما" شرح النووي على مسلم (٦/ ٩٠).

(١٨) قوله "كأنما فرقان من طير صواف وفي الرواية الأخرى كأنهما حزقان من طير صاف الفرقان بكسر الفاء وإسكان الراء والحزقان بكسر الحاء المهملة وإسكان الزاي ومعناهما واحد وهما قطيعان وجماعتان يقال في الواحد فرق وحزق وحزيقة أي جماعة". شرح النووي على مسلم (٦/ ٩٠-٩١).

صَوَافَّ[١٩]. وَفِي الصَّحِيحِ: أَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ تَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ[٢٠] وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ. إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

اتِّصَافُ الرَّبِّ تَعَالَى بِصِفَاتِ الْكَمَالِ أَزَلًا وَأَبَدًا

قَوْلُهُ: (مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ، لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ، وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا، كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا.).

ش: أَيْ: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمْ يَزَلْ مُتَّصِفًا بِصِفَاتِ الْكَمَالِ: صِفَاتِ الذَّاتِ وَصِفَاتِ الْفِعْلِ. وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُعْتَقَدَ أَنَّ اللَّهَ وُصِفَ بِصِفَةٍ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مُتَّصِفًا بِهَا[٢١].

مثال ذلك: أن الله موصوف بأنه الخالق، فهل هذا الوصف ثبت لله بعد أن خلق الخلق أم أنه موصوف به قبل أن يخلق الخلق؟ فيقول المؤلف أنه موصوف بذلك قبل أن يخلق الخلق لأنه خالق بالقدرة[٢٢]، فقدرته

---

(١٩) انظر: صحيح مسلم (١/ ٥٥٣) ح٢٥٢ – (٨٠٤).

(٢٠) انظر: صحيح البخاري (١/ ١٥٩) (٧٩٩) باب فضل اللهم ربنا لك الحمد.

(٢١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٣/ ٢٢٥).

(٢٢) أي: بالقوة.

على الخلق موجودة قبل أن يخلق الخلق، وحين يخلق الخلق يوصف بأنه خالق بالفعل[٢٣]، مثل وصف الشخص بأنه متكلم؛ فإنه يوصف بأنه متكلم حتى في حالة سكوته، فهو موصوف بالكلام في حال سكوته بالقوة وفي حال تكلمه بالفعل، وكذلك الكاتب فيقال: فلان كاتب وإن كان لا يكتب في هذه اللحظة، وذلك لأنه قادر على الكتابة، ويوصف بالكتابة في حال كتابته بالفعل، فالله تعالى موصوف بالخلق قبل أن يوجد المخلوق، ويوصف بكل صفاته المتعلقة بخلقه في الأزل، ولكن هذه الصفات تنقسم إلى قسمين:

صفات دائمة لازمة لذاته تعالى، وصفات أفرادها تحدث شيئا بعد شيء، مثل صفة الكلام ثابتة[٢٤] ولكنه يتكلم متى شاء وكيف شاء. وكذلك صفة الخالقية والعلم وكذلك صفة الرزق.

فالمؤلف رحمه الله يقصد أن صفات الله تبارك وتعالى تنقسم إلى قسمين:

---

(٢٣) انظر: المقصد الأسنى لأبي حامد الغزالي (ص: ٣٦).

(٢٤) أي: أزلية.

قسم لازم لذاته، لا يتصور انفكاك الذات عن تلك الصفة، دائمة بدوامه تعالى، كحياته سبحانه وتعالى وقدرته، فلا يجوز أن يكون في وقت من الأوقات ليس حيا، أو ليس قادرا.

والقسم الآخر صفات أصلها قائم بذاته ويكون لها أفعال (حدوث في أوقات مختلفة كصفة الخلق، فأصل الصفة - إذا نظرت إلى قدرته تعالى على خلق الأشياء - موجودة وقائمة به تعالى، لكن لها تعلق بالمفعول، وإذا كانت كذلك فهذا يعني أن ظهور هذه الأفعال مرتبط بظهور ذلك المفعول، فهذه الصفات بهذا الاعتبار تكون في وقت دون وقت وتختفي في وقت دون وقت، فهي صفات اختيارية، فالرب قادر أن يخلق في أي وقت شاء، لكن لا يلزم من ذلك أن يكون يخلق في كل وقت، بل يخلق متى ما شاء، ولذلك فقد مضى زمن ولا يوجد معه غيره سبحانه وتعالى كما جاء في الحديث «كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض»[٢٥] ،

لكن هل مقصود النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث: من هذا العالم أم مقصوده لم يكن شيء معه مطلقا؟

---

(٢٥) صحيح البخاري (٤/ ١٠٥) ح ٣١٩١ من حديث عمران بن حصين.

فقال أهل السنة: مقصوده من هذا العالم ويدل له سياق الحديث، حيث كان جوابا على قولهم «قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر»، ولا مانع أن يكون فاعلا قبل ذلك أشياء وأعدمها، فيوجد ويعدم كما يشاء(٢٦).

أما أهل الكلام فقالوا بل المراد مطلقا وأنه يجب أن ينتهي إلى وقت يكون الفعل ممتنعا منه، وهي المسألة المعروفة بتسلسل الحوادث(٢٧).

وهنا يقول صاحب المتن " **مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ، لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ**" قد يظن أهل الكلام أن هذه الجملة تتفق مع ما ذهبوا إليه في هذا الباب، ولكن من المعلوم أن أهل السنة يرون أن أفعال الله الاختيارية تكون بمشيئته فقوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤] يدل دلالة واضحة على أن الاستواء: فعل حادث

(٢٦) انظر: مجموع الفتاوى (١٨/ ٢١٤-٢٤٣)، فقد تكلم شيخ الإسلام عن حديث عمران هذا من خمسة عشر وجها بكلام نفيس.

(٢٧) ومن المواضع التي تكلم فيها شيخ الإسلام على التسلسل: مجموع الفتاوى (٨/ ١٥٢)، منهاج السنة النبوية (١/ ٤٣٦)، (١/ ٤٤١)، وفي مواضع من المجلد الأول والثاني والثالث من درء تعارض العقل والنقل، الصفدية، وغيرها من المواضع.

بعد خلق السماوات والأرض ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤]، ولا مانع أن يكون مستويا على العرش قبل ذلك، ومن ثم يكون الاستواء فعلا يقع بمشيئته واختياره، ومن هنا نفرق بين صفاته اللازمة وأفعاله الاختيارية التي ترجع إلى صفات قائمة به لازمة له سبحانه وتعالى(٢٨).

لِأَنَّ صِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ صِفَاتُ كَمَالٍ، وَفَقْدَهَا صِفَةُ نَقْصٍ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَدْ حَصَلَ لَهُ الْكَمَالُ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُتَّصِفًا بِضِدِّهِ. وَلَا يَرِدُ عَلَى (هَذِهِ) (٢٩) صِفَاتُ الْفِعْلِ وَالصِّفَاتُ الِاخْتِيَارِيَّةُ وَنَحْوُهَا، كَالْخَلْقِ وَالتَّصْوِيرِ، وَالْإِمَاتَةِ وَالْإِحْيَاءِ، وَالْقَبْضِ وَالْبَسْطِ وَالطَّيِّ، وَالِاسْتِوَاءِ

(٢٨) وانظر تقرير كون أفعاله تعالى بمشيئته: جامع الرسائل لابن تيمية – رشاد سالم (٢/ ٢٠)، درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٢٢٦)، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ٤٤٧)، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص: ٢٥).

(٢٩) هكذا بالإشارة للمؤنث في شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (١/ ٩٦)، شرح الطحاوية – ط دار السلام (ص: ١٢٤)، وورد بالإشارة للمذكر كما في شرح الطحاوية – ط الأوقاف السعودية (ص: ٨٠)، شرح العقيدة الطحاوية . تح أحمد شاكر (ص: ٤٨). والمعنى صحيح في الوجهين. وتكون الإشارة إلى التقرير السابق أو المسألة المذكورة.

وَالْإِتْيَانِ وَالْمَجِيءِ، وَالنُّزُولِ، وَالْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ، وَإِنْ كُنَّا لَا نُدْرِكُ كُنْهَهُ وَحَقِيقَتَهُ الَّتِي هِيَ تَأْوِيلُهُ، (وَلَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ بِآرَائِنَا، وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا)[٣٠]، وَلَكِنْ أَصْلُ مَعْنَاهُ مَعْلُومٌ لَنَا.

المبتدعة من المعتزلة والأشاعرة الذين لا يثبتون هذه الصفات، لا يثبتون ما أثبته المؤلف هنا من: الخلق والتصوير، فإذا قيل لهم ما معنى الخلق؟ قالوا الخلق هو المخلوق، فلا يثبتون صفة الخلق قائمة بالله تعالى، وكذلك صفة المجيء والإتيان والنزول يقولون: الله لا يجيء وينفون تلك الصفات؛ زاعمين أنه يلزم منها حلول الحوادث بالله تعالى - وهم يمنعون من ذلك -.

وهنا يقرر المؤلف: أن اتصاف الله بتلك الصفات لا يمنع كونه متصفا بها قبل خلقه للمخلوقات مثل الإحياء والإماتة، فإن الإماتة تقتضي شيئا يموت، والإحياء يقتضي شيئا يجعل حيا، وكذلك القبض يقتضي شيئا يكون مقبوضا ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] ومثله الطي والبسط، والاستواء يقتضي شيئا يستوي عليه ﴿اسْتَوَى عَلَى

(٣٠) هذه عبارة الطحاوي في عقيدته اقتبسها الشارح هنا.

الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] [يونس: ٣] [الرعد: ٢] [طه: ٥] [الفرقان: ٥٩] [السجدة: ٤] [الحديد: ٤]، فهذه الصفات ترجع إلى حياته وأفعاله[٣١]، فهو يفعل ما يشاء، وهو موصوف بذلك في ذاته، والصفات التي تحدث شيئا بعد شيء يقال فيها أنها حادثة الأفراد قديمة النوع[٣٢].

---

(٣١) انظر: مجموع الفتاوى (١٨/ ٣١١)، بدائع الفوائد (٢/ ١٨٤)، زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ١٨٧).

(٣٢) انظر: الصفدية (١/ ٦٥)، درء تعارض العقل والنقل (٢/ ١٤٧)، (٤/ ١٦٠)، (٨/ ٣٤٢)، (٩/ ٧٢)، مجموع الفتاوى (٦/ ٢٩٨)، (٨/ ١٥٣)، مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية - رشيد رضا (٣/ ١١٠)، منهاج السنة النبوية (١/ ٢٩٨).

كَمَا قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَمَّا سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]: كَيْفَ اسْتَوَى؟ فَقَالَ: الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ[١].

قوله "الاستواء معلوم" أي في هذا التركيب ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ فليس له هنا إلا معنى واحدا، وهذا يرد على ابن العربي[٢] أو غيره الذي أورد على أهل السنة المثبتين: فإذا قال لك المشبه استوى على العرش، فقل له إن للاستواء خمسة معان، فإن المشبه يتحير، ولا يدري ما يقول، وقد أجاب ابن القيم عن ذلك في الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة[٣] فقال " وقولك الاستواء له عدة معان تلبيس آخر فإن الاستواء

---

(١) انظر: الرد على الجهمية للدارمي (ص: ٦٦) ١٠٤، طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها (٢/ ٢١٤)، الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٣٠٥) ٨٦٧، الاعتقاد للبيهقي (ص: ١١٦)، العلو للعلي الغفار (ص: ١٣٩) ٣٧٨، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/ ١٣٨)، (٧/ ١٥١)، العلو للعلي الغفار (ص: ١٦٨) ٤٥٥، وانظر دراسة طيبة حول هذا الأثر بعنوان (الأثر المشهور عن الإمام مالك رحمه الله في صفة الاستواء دراسة تحليلية) بقلم: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر. وفيه الرد على من طعن في هذا الأثر.

(٢) انظر: النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم (ص: ٢١٤).

(٣) انظر: الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (١/ ١٩٥).

المعدى بأداة على ليس له إلا معنى واحد وأما الاستواء المطلق فله عدة معان فإن العرب تقول استوى كذا إذا انتهى وكمل ومنه قوله تعالى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ [القصص١٤] وتقول استوى كذا وكذا إذا ساواه نحو قولهم استوى الماء والخشبة واستوى الليل والنهار وتقول استوى إلى كذا إذا قصد إليه علوا وارتفاعا نحو استوى إلى السطح والجبل واستوى على كذا أي إذا ارتفع عليه وعلا عليه لا تعرف العرب غير هذا فالاستواء في هذا التركيب نص لا يحتمل غير معناه كما هو نص في قوله ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ [القصص١٤] لا يحتمل غير معناه ونص في قولهم استوى الليل والنهار في معناه لا يحتمل غيره فدعوا التلبيس فإنه لا يجدي عليكم إلا مقتا عند الله وعند الذين آمنوا".

فإذا قال لك المبتدع: استوى لها عدة معان. فقل له: استوى وحدها أم استوى على العرش؟ فإن كانت (استوى) وحدها فنعم لها عدة معان تختلف باختلاف تراكيبها، وأما (استوى على) فليس لها إلا معنى واحد وهو العلو وذلك يعلم باستقراء القرآن والسنة واللغة ﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى

﴿الْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤] ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ [الزخرف: ١٣] ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] لأنه معدى بلفظة على[(٤)].

وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَحْوَالُ تَحْدُثُ فِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ، كَمَا فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ: «إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ»[(٥)].

لِأَنَّ هَذَا الْحُدُوث بِهَذَا الِاعْتِبَارِ غَيْرُ مُمْتَنِعٍ، وَلَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ أَنَّهُ حَدَثَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، أَلَا تَرَى أَنَّ مَنْ تَكَلَّمَ الْيَوْمَ وَكَانَ مُتَكَلِّمًا بِالْأَمْسِ لَا يُقَالُ: إِنَّهُ حَدَث لَهُ الْكَلَامُ، وَلَوْ كَانَ غَيْرَ مُتَكَلِّمٍ لِآفَةٍ كَالصِّغَرِ وَالْخرَسِ، ثُمَّ تَكَلَّمَ يُقَالُ: حَدَثَ لَهُ الْكَلَامُ، فَالسَّاكِتُ لِغَيْرِ آفَةٍ يُسَمَّى مُتَكَلِّمًا بِالْقُوَّةِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ إِذَا شَاءَ، وَفِي حَالِ تَكَلُّمِهِ يُسَمَّى مُتَكَلِّمًا بِالْفِعْلِ، وَكَذَلِكَ الْكَاتِبُ فِي حَالِ الْكِتَابَةِ هُوَ كَاتِبٌ بِالْفِعْلِ، وَلَا يَخْرُجُ عَنْ كَوْنِهِ كَاتِبًا فِي حَالِ عَدَمِ مُبَاشَرَتِهِ لِلْكِتَابَةِ.

---

(٤) وانظر إبطال شبه المبتدعة في مسألة الاستواء في كتاب مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص: ٣٧١-٣٩٠) حيث قد أبطلها ابن قيم الجوزية من اثنين وأربعين وجها.

(٥) صحيح البخاري (٦/ ٨٤) ح ٤٧١٢، صحيح مسلم (١/ ١٨٤) ح ٣٢٧ - (١٩٤).

حُكْمُ الْأَلْفَاظِ الْمُجْمَلَةِ الَّتِي لَمْ يَرِدْ نَفْيُهَا وَلَا إِثْبَاتُهَا فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ

وَحُلُولُ الْحَوَادِثِ بِالرَّبِّ تَعَالَى، الْمَنْفِيُّ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ، لَمْ يَرِدْ نَفْيُهُ وَلَا إِثْبَاتُهُ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ،

علاقة الكلام هذا بالكلام الذي قبله: أن أهل الكلام يقولون: إذا أثبتم مثل هذه الأفعال الحادثة فقد قلتم بحلول الحوادث في ذات الرب، قلتم استوى يعني لم يكن مستويا، قلتم خلق يعني لم يكن خالقا. يقولون فأنتم قد أثبتم حدوث أفعال الله تعالى وبهذا تكونوا قد قلتم بحلول الحوادث، فرد المؤلف بقوله "**وَحُلُولُ الْحَوَادِثِ بِالرَّبِّ تَعَالَى، الْمَنْفِيُّ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ، لَمْ يَرِدْ نَفْيُهُ وَلَا إِثْبَاتُهُ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ** .. " الخ.

وَفِيهِ إِجْمَالٌ: فَإِنْ أُرِيدَ بِالنَّفْيِ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَحِلُّ فِي ذَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ الْمُحْدَثَةِ، أَوْ لَا يَحْدُثُ لَهُ وَصْفٌ مُتَجَدِّدٌ لَمْ يَكُنْ – فَهَذَا نَفْيٌ صَحِيحٌ. وَإِنْ أُرِيدَ بِهِ نَفْيُ الصِّفَاتِ الِاخْتِيَارِيَّةِ، مِنْ أَنَّهُ لَا يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ إِذَا شَاءَ، وَلَا أَنَّهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى لَا كَأَحَدٍ مِنَ الْوَرَى، وَلَا يُوصَفُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ مِنَ النُّزُولِ وَالِاسْتِوَاءِ وَالْإِتْيَانِ كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ – فَهَذَا نَفْيٌ بَاطِلٌ.

هذا كلام في غاية التفصيل وغاية الوضوح، فحلول الحوادث يحتمل ثلاثة معان:

أحدها: أن شيئا من المحدثات - كالعرش والسماء ونحوها - تحل في ذات الله، وهذا باطل، ونفي حلول الحوادث بهذا المعنى صحيح.

الثاني: أنه يحدث لله كمال لم يكن موجودا من قبل، مثل أن يصبح قادرا على الخلق ولم يكن قادرا من قبل، أو تحصل له صفة السمع بعد إذ لم تكن موجودة من قبل، فهذا أيضا نرفضه ولا يمكن أن نثبته، ونفي حلول الحوادث بهذا المعنى صحيح.

الثالث: حلول الحوادث بمعنى أنه تعالى يرحم شخصا، فتتعلق رحمته بذلك الشخص الحادث، كما أنه رحم البشرية فأرسل لها محمدا صلى الله عليه وسلم، فهذه رحمة حادثة، وكذلك أن يبعث لهذه الأمة بين وقت وآخر من يجدد لها أمر دينها، فهذا من رحمته الحادثة، ورحمته للناس حين يكونون في قحط وشدة فيأتي بالمطر، فهذه رحمة متجددة، فيقال للمتكلمين: هذا أنتم تسمونه حلول الحوادث!؟

فنقول: سموه ما شئتم، نحن نثبته فنقول: الله يرحم متى شاء وكيف شاء، وصفة الرحمة قائمة به تعالى، كذلك الخلق، فإن الخلق مشاهد، لم يكن أحدنا مخلوقا؛ فإذا هو قد أصبح مخلوقا، ثم صار له أولاد، ثم صار لأولاده أولاد، وكذلك النبات والثمار، كل سنة بل كل فصل من الفصول يتجدد ويحييه الله عز وجل ويوجده، وكذلك الحيوان من بهيمة الأنعام وغيرها، نحن نشاهد حدوث الخلق فيها وتجدده، قال تعالى ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧] ﴿أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠]، فهذا كله مشاهد، ولهذا أمرنا الله أن ننظر ونتفكر في ذلك، انظر إلى الجو يكون صحوا فإذا هو ممطر، ويكون ممطرا فإذا هو صحو، والرياح تكون ساكنة فإذا هي متحركة، فهذه أفعال لله سبحانه وتعالى يفعلها متى شاء، فعلى مذهب هؤلاء أنه لا يجوز أن يكون الرب يفعل هذه الأشياء بأفعال حادثة قالوا لأنه يلزم من ذلك حلول الحوادث في ذات الرب تبارك وتعالى، فنقول لهم نحن نثبت هذه الأفعال وأنتم إن شئتم أن تسموها حلول الحوادث سموها.

فتبين أن حلول الحوادث له ثلاثة معان معنيان باطلان والثالث صحيح، لكن المعنى الصحيح لا نسميه حلول الحوادث ولا نطلق عليه هذا اللقب، لاشتمال هذا اللقب على معنى باطل ومعنى صحيح[٦].

وهذا عام في كل الشبهات القديمة والحديثة، ألا تستعمل ما يقوله أهل الباطل على إطلاقه، فإنهم قد ينمقونه، ويكون ظاهره جميلا، مثال ذلك قولهم اليوم: الإسلام أصل الحرية وأنه أتى بالحرية، ويقولون نحن لا نريد دولة دينية، ونحن نريد العدالة، هكذا يتشدق بعض الرافضة ونحوهم، فيفهم كلامهم أن العدالة ليس لها مفهوما دينيا، وأنها تتناقض مع الدين، وكذلك حين ينادون بالحرية والتي منها في مفهومهم حرية الكفر[٧].

---

(٦) وفي إبطال شبه الجاحدين لصفات الله الاختيارية انظر: (رسالة في الصفات الاختيارية) ضمن جامع الرسائل لابن تيمية - رشاد سالم (٢/ ١-٧٠)، درء تعارض العقل والنقل (٤/ ١٨-١١٥) وفي مواضع أخرى منه، شرح العقيدة الأصفهانية (ص: ١١٥-١٢١)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١١٩٩-١٢٢٣).

(٧) انظر في الكلام على مفهوم الحرية: كواشف زيوف (ص: ٢٢٣).

فلا بد في الألفاظ المجملة: أن نستفصل ونسأل عن مراد من أطلقها ومقصوده منها[٨].

مثال ذلك: مسألة **نفي الجهة**، فتسأله: ما مرادك بنفي الجهة؟ فإن كان مراده نفي علو الله على خلقه، وأنه ليس فوق سبع سموات، ويقول لا فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال وهكذا، فهذا باطل لأنه يلزم منه وصف الله بالعدم، وإن كان مراده أن الله لا يحيط به مكان بحيث يكون الرب تبارك وتعالى في ظرف يحيط به ذلك الظرف، فهذا النفي صحيح.

---

(٨) انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ٣٣٨)، درء تعارض العقل والنقل (١/ ٧٦)، (١/ ٢٢٢- ٢٤٢)، (١/ ٢٩٦) وغيرها من المواضع التي بين فيها شيخ الإسلام الموقف من الألفاظ المجملة. وقد قال شيخنا في ذلك في نظم المجمل:

واستفسرن في كل لفظ يجمل ... وللصواب والخطا يحتمل
فما أتى من حقه في السمع ... فاثبته يا صاح بلفظ الشرع
وما يكون باطلا فردا ... هذا هو الأصل هديت الرشدا

فتستخدم أسلوب الاستفصال دائما، سواء كانت اصطلاحات كلامية، أو سياسية، أو تربوية، أو سلوكية، أو فقهية.

فالكلام الذي تعلم أنه قد يستخدم لمعان باطلة فلا بد أن تنظر: فإن كان اللفظ قد ورد في الوحي، فلا بد أن تقرر معناه الشرعي، الذي فسره به السلف الصالح، وتنفي عنه المعاني المغايرة، التي أحدثها المخالفون للسلف، ومن أمثلة ذلك لفظ **الوسيلة** فهي من الألفاظ الواردة في الوحي قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧] ومعناها - المعروف عند السلف — هو: التقرب إلى الله بالعمل الصالح(٩)، بينما المخرفون جعلوا الوسيلة أن تتقرب إلى الله بالولي وشفاعته(١٠)، فتقول لهم هذا المعنى غير معروف.

---

(٩) انظر: تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٠/ ٢٩٠)، تفسير ابن كثير ت سلامة (٣/ ١٠٣).

(١٠) انظر ذكر هذه الشبهة وردها في: تفسير الألوسي = روح المعاني (٣/ ٢٩٤).

وكذلك لفظة **الحرية**: لها معنى في الشرع، ولها معنى في هذا الزمن، ففي الشرع الحرية ضد الرق والحر ضد العبد(١١).

أما في هذا الزمن فمعنى الحرية - في اصطلاح العلمانيين ومن على شاكلتهم -: أن لك الحق حتى في أن تكفر، وتتنقل في ملل الكفر، وهذا المعنى: باطل شرعا، بل حتى أن الفقهاء اختلفوا في حق الكافر الكتابي الذمي هل يسمح له في أن ينتقل من اليهودية إلى النصرانية أو العكس أم لا؟ قالوا لأن دين الإسلام هو الحق فمن كان سينتقل من دينه فلا يسمح له بالانتقال إلا إلى دين الإسلام(١٢). أما مسلم ينتقل إلى دين الكفر فهذا ليس له إلا القتل(١٣).

---

(١١) انظر: المخصص (١/ ٣٢٩)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/ ١٢٨).

(١٢) انظر: زاد المستقنع في اختصار المقنع (ص: ٩٩).

(١٣) لقوله صلى الله عليه وسلم «من بدل دينه فاقتلوه». صحيح البخاري (٩/ ١٥) ح٦٩٢٢ من حديث ابن عباس، قال الترمذي "والعمل على هذا عند أهل العلم في المرتد، واختلفوا في المرأة إذا ارتدت عن الإسلام، فقالت طائفة من أهل العلم: تقتل، وهو قول الأوزاعي، وأحمد، وإسحاق. وقالت طائفة منهم: تحبس ولا تقتل، وهو قول سفيان الثوري، وغيره من أهل الكوفة." سنن الترمذي ت بشار (٣/ ١١١).

وَأَهْلُ الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ يُطْلِقُونَ نَفْيَ حُلُولِ الْحَوَادِثِ، فَيُسَلِّمُ السُّنِّيُّ لِلْمُتَكَلِّمِ ذَلِكَ، عَلَى ظَنِّ أَنَّهُ نَفَى عَنْهُ سُبْحَانَهُ مَا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، فَإِذَا سَلَّمَ لَهُ هَذَا النَّفْيَ أَلْزَمَهُ نَفْيَ الصِّفَاتِ الِاخْتِيَارِيَّةِ وَصِفَاتِ الْفِعْلِ، (وَهُوَ لَازِمٌ لَهُ)(١٤). وَإِنَّمَا أُتِيَ السُّنِّيُّ مِنْ تَسْلِيمِ هَذَا النَّفْيِ الْمُجْمَلِ، وَإِلَّا فَلَوِ اسْتَفْسَرَ وَاسْتَفْصَلَ لَمْ يَنْقَطِعْ مَعَهُ(١٥).

قال ابن القيم في النونية(١٦):

فعليك بالتفصيل والتمييز فالإ … طلاق والإجمال دون بيان

قد أفسدا هذا الوجود وخبطا الـ … أذهان والآراء كل زمان

---

(١٤) كذا في شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (١/ ٩٧)، وأما في ط دار السلام (ص: ١٢٥) - ط الأوقاف السعودية (ص: ٨١) - ط - تحقيق أحمد شاكر (ص: ٤٨)، فقد جاءت هكذا (وهو غير لَازِمٌ لَهُ) بزيادة لفظ (غير)، وكذلك قرأت على شيخنا - حفظه الله -.

(١٥) انظر تفصيل الجواب على أهل الكلام في مسألة حلول الحوادث: درء تعارض العقل والنقل (٤/ ١٨) فما بعدها فيما يزيد على مائة صفحة.

(١٦) الكافية الشافية (ص: ٥٢).

فالأصل ألا تسلم أيها السني بذلك، والمقصود بالسني الذي قد يسلم بذلك: هو السني الذي تكون فيه غفلة، أو عدم علم بأساليب أهل الكلام.

فإذا قال لك المتكلم: الله لا تحله الحوادث. فلا تقل له: نعم ولا لا، ولكن تستفصل منه وتسأله عن مقصوده من عبارة (تحله الحوادث)، هل تقصد أن الله لا يحل في ذاته شيء من مخلوقاته فنعم، وإن قصدت أنه لا ينزل في ثلث الليل ولا يأتي يوم القيامة لفصل القضاء ولا يفرح ولا يرضى ولا يغضب، فنحن نثبت كل هذه الصفات لله وإن سمى المتكلم ذلك الإثبات (حلول الحوادث).

وَكَذَلِكَ مَسْأَلَةُ الصِّفَةِ: هَلْ هِيَ زَائِدَةٌ عَلَى الذَّاتِ أَمْ لَا؟ لَفْظُهَا مُجْمَلٌ(١٧)، وَكَذَلِكَ لَفْظُ الْغَيْرِ، فِيهِ إِجْمَالٌ، فَقَدْ يُرَادُ بِهِ مَا لَيْسَ هُوَ إِيَّاهُ، وَقَدْ يُرَادُ بِهِ مَا جَازَ مُفَارَقَتُهُ لَهُ(١٨).

---

(١٧) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٣٢٧)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٣/ ٢٩٨) - (٥/ ١٧)، الرسالة الأكملية في ما يجب لله من صفات الكمال (ص: ٢٣)، درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٢٣١) - (٣/ ٢٠) - (٨/ ٥٣)، مجموع الفتاوى (١٧/ ١٦١)، منهاج السنة النبوية (٢/ ٤٩٠).

(١٨) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٣٢٦)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٣/ ٢٨٩)، الرد على المنطقيين (ص: ٢٢٦)، الرسالة الأكملية في ما يجب لله من صفات الكمال (ص: ٢٣)، الصفدية (١/ ١٠٧)، الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ٤٥١)، بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية (ص: ٤٢٦)،بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٣/ ٦٣١)، درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٨٢)-(٢/ ١٨٧)- (٢/ ٢٧١)- (٣/ ٢٤)- (٤/ ٢٠٣)- (٥/ ٤٩)- (٩/ ١٣٦)- (١٠/ ٧٠)-(١٠/ ٢٣٢)، مجموع الفتاوى (٣/ ٣٣٦)- (١٢/ ١٧٠)-(١٢/ ٥٦٠)- (١٧/ ١٥٩)، منهاج السنة النبوية (٢/ ١٦٦)، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٣/ ٩٨٢)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٣٣٦).

وَلِهَذَا كَانَ أَئِمَّةُ السُّنَّةِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لَا يُطْلِقُونَ عَلَى صِفَاتِ اللَّهِ وَكَلَامِهِ أَنَّهُ غَيْرُهُ، وَلَا أَنَّهُ لَيْسَ غَيْرَهُ.

هذا لا يخطر في بال العربي سليم الفطرة أبدا، وإنما جاء هذا من الحضارة اليونانية، وما يسمى بعلم الكلام والفلسفة والمنطق، فإنهم يقسمون الأشياء إلى جوهر وعرض، فالجوهر الجسم والعرض ما يقوم بالجسم من فرح أو ضحك أو رضى أو غضب، فمن ثم يقولون: الله عز وجل ليس بجسم ولا عرض، فإذا أثبتنا الصفات قالوا: هي أعراض ونفوها، ويقولون: لو أثبتنا الصفات فستكون آلة قديمة متعددة. وهذا كله من خبطهم الباطل.

وقد بلغ النبي – صلى الله عليه وسلم – الوحي إلى الأمة وفيه تقرير الصفات لله تعالى ولم يثبت أن أحدا من الناس اعترض عليه بشيء من هذه الاعتراضات الكلامية، وإنما أكثر ما جاء: أن المشركين قالوا لرسول الله – صلى الله عليه وسلم –: انسب لنا ربك، فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ

أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١، ٢][١٩]، وجاء في بعض الأحاديث عن ابن مسعود قال: "كان رجلان من قريش وختن لهما من ثقيف - أو رجلان من ثقيف وختن لهما من قريش - في بيت، فقال بعضهم لبعض: أترون أن الله يسمع حديثنا؟ قال: بعضهم يسمع بعضه، وقال بعضهم: لئن كان يسمع بعضه لقد يسمع كله، فأنزلت: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢] الآية[٢٠].

فلم يكن عندهم أي اشكال في أن يسمعوا عن عظمة الله وسمعه وبصره وقدرته ونحو ذلك، ولم يكن عند العرب المشركين شيء من هذه الشبه، التي أصابت أهل الكلام من قبل الفلسفة اليونانية، التي دخلت على المسلمين، وكانت شبهتهم في قبول الفلسفة اليونانية أنهم قالوا: نأخذ علم الكلام لنستعين به على الملحدين؛ فدخل عليهم البلاء.

---

(١٩) سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ٤٥١) ح(٣٣٦٤) قال الألباني "حسن دون قوله: " والصمد الذي .." — (ظلال الجنة ٦٦٣ / التحقيق الثاني)" ضعيف سنن الترمذي (ص: ٤٣٩).

(٢٠) صحيح البخاري (٦/ ١٢٨) ح(٤٨١٦)، صحيح مسلم (٤/ ٢١٤١) ح ٥ - (٢٧٧٥)، وغيرهما.